عصور - تصنيف ج- المجلد 22 / العدد03 - ديسمبر 2023
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال:10.54239/2319-022-003-015 (DOI)

وهران في خضم الصراع الثلاثي العثماني المغربي والاسباني 1671- 1708م

Oran in the midst of the tripartite Ottoman -Moroccan-Spanish conflict 1671-1708 CE

د.يوسف مالكي
جامعة زيان عاشور الجلفة الجزائر
youcef.malki@univ-djelfa.dz

تاريخ الإرسال: 2023/07/25 تاريخ المراجعة: 2023/08/15 تاريخ القبول:2023/11/06

الملخص:

نتناول في هذه الدراسة جملة من الأحداث التاريخية التي حدثت ضمن إطار مكاني محدد وهو مدينة وهران، والتي جرت بين الأسبان المحتلين لمدينة وهران والعثمانيون في الجزائر والعلويون في المغرب الأقصى المتنافسين على تحرير المدينة، وهذا في إطار زمني محدد 1671- 1708م، فقد عرفت المنطقة في هذه الفترة منعطفات سياسية كبيرة على المستويين المحلي في مدينة وهران والإقليمي؛ أي في الدول الثلاثة تمثلت أساسا في استبدال نظام الأغوات في الجزائر بنظام الدايات سنة 1671م، ومعه زادت وتيرة الصراع الجزائري الإسباني في وهران مستغلين في ذلك المشاكل السياسية التي كانت تمر بها المملكة الإسبانية نتيجة شغور العرش من وريث شرعي، وهو ما انعكس سلبا على الحامية الإسبانية في وهران، وقد تزامنت هذه الأحداث وتولي المولى إسماعيل الملك في المغرب الأقصى، الذي أشتهر بعدائه للأسبان والجزائريين على حد سواء وقد حاول هذا السلطان تحرير وهران لعله بذلك يحوزها لنفسه، لولا أن الجزائريين سبقوه إليها وحرروها سنة 1708م إلاّ أن الأسبان سرعان ما استعادوها منهم سنة 1732م.

الكلمات المفتاحية: المولى إسماعيل؛ الباي بوشلاغم؛ بايلك الغرب؛ الاحتلال؛ التحرير؛ الحصار؛ التنافس؛ التوسع.

Abstract :

In this study, we examine a series of historical events that occurred within a specific geographical context, which is the city of Oran. These events involved the Spanish occupiers of Oran, the Ottomans in Algeria, and the Alawites in distant Morocco, all competing to liberate the city. This took place within a specific timeframe from 1671 to 1708 CE. During this period, the region witnessed significant political developments at both the local and regional levels, particularly in the three nations. This was primarily characterized by the replacement of the Agawat system in Algeria with the Dey system in 1671, intensifying the Algerian-Spanish conflict in Oran, taking advantage of the political problems within the Spanish kingdom due to the vacant throne. This had a negative impact on the Spanish garrison in Oran. These events coincided with the reign of Mawla Ismail in distant Morocco, who was known for his hostility toward both the Spanish and the Algerians. He attempted to liberate Oran to claim it for himself, but the Algerians had already beaten him to it and liberated it in 1708. However, the Spanish quickly regained control of the city from them in 1732 CE.

Keywords: Mawla Ismail ; Bey Bouchlaghem; Beylik of the West; Occupation; Liberation; The siege; Competition; Expansion.

-مقدمة:

يُعد الحديث عن الصراع العثماني الإسباني والمغربي حول مدينة وهران في العصر الحديث من بين أهم المواضيع التاريخية، والتي هي محل لجدل واسع بين المؤرخين والباحثين؛ إذ شكلت مسألة تحرير السواحل الجزائرية من الاحتلال الاسباني القضية الجوهرية في سياسة الحكام العثمانيين في الجزائر وذلك منذ مطلع القرن السادس عشر أي منذ وصول الأخوين عروج وخيرالدين بربروس إلى الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وشروعهم في طرد الإسبان من ضفته الجنوبية ونقل الأندلسيين الفارين من محاكم التفتيش الإسبانية.

بالرغم من نجاح الحكام العثمانيون في الجزائر في تحرير معظم المدن الساحلية من قبضة الإسبان إلاّ أنّ مدينة وهران والمرسى الكبير ضلتا مستعصيتين عليهم رغم المحاولات المتكررة طيلة القرنيين السادس عشر والسابع عشر، والتي شنتها عليها الجيوش الجزائرية أُمرت عليها قادة اشتهروا بالكفاءة والحنكة العسكرية كصالح رايس وحسن بن خير الدين...، وترجع جل المصادر التاريخية السبب الرئيسي في فشل كل تلك المحاولات إلى تمسك الأسبان بهاتين الموضعين والاستماتة في الدفاع عنهما، وفي بدايات العقد الثامن من القرن السابع عشر عرفت الجزائر منعطف سياسي هام تمثل في تغير طرأ على نظام الحكم فيها بما يصطلح عليه "بحكم الدايات" ونهاية حكم "الأغوات" سنة 1671م وقد سار الحكام الجدد على نهج سابقيهم ضد الإسبان في وهران بل أشد منهم.

وقد تزامن بداية حكم الدايات في الجزائر وتولي المولى إسماعيل عرش العلويين في المغرب الأقصى، وهو الذي قاد الكثير من الغارات العسكرية على وهران رغبة منه في تحريرها لعله بذلك يحوزها لنفسه جاعلين بذلك وهران ساحة للاقتتال بين القوى الثلاثة الإسبان وتمسكهم بوهران وأتراك الجزائر وطموحهم في تحرير المدينة والمملكة العلوية ومساعي ملكها المولى إسماعيل في التوسع على حساب الأراضي الجزائرية أو ممتلكات الإسبان فيها.

وهو ما دعانا للخوض في حيثيات هذا الموضوع باحثين عن الأسباب والعوامل التي ساهمت في اشتداد الصراع الثلاثي الجزائري المغربي والإسباني في وهران وانعكاس هذا الصراع على المدينة. معتمدين في ذلك على المنهج التاريخي كونه أكثر المناهج العلمية ملائمة لمثل هذه المواضيع، إضافة إلى المنهج المقارن.

1- الجهود الجزائرية لتحرير وهران 1671-1707م:

1-1- التوسع الاسباني في الغرب الجزائري سنة 1675م وموقف حكام الجزائر منها:

لقد كانت مسألة الاستعمار الاسباني في وهران والمرسى الكبير(أنظر التعليق رقم1) تشكل هاجسا كبيرا لأتراك الجزائر خاصة وأنه الموضع الوحيد الذي ضل عصيا عليهم، ولم يتمكنوا من تحريره كغيره من المدن الساحلية الأخرى رغم كل المحاولات الجادة في

سبيل تحقيق ذلك، كما لم تكن هذه رغبة الحكام فحسب؛ بل حلم كل سكان البلاد ولعل ما يعكس الاهتمام الكبيرالذي كان حكام الجزائر يولونه لهذه المسألة هو ما نستنتجه من قول ابن سحنون الراشدي:"...ولم تزل بأيدي الكفرة وملوك الإسلام يطرقوا مرة بعد مرة، وأولياء الله وعلماء ملته يدعون الناس إليها ويغزونها بأنفسهم فلا يزيلون شجاها من حلقها ولا يوفونها حظها فقد غزاها إبراهيم خوجة..."(أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، 1973: 192). وما نستقيه من هذا القول هو إصرار الحكام الجزائريين إلى جانب مختلف أطياف المجتمع الجزائري بما فيهم العلماء ورجال الدين على تخليص وهران والمرسى الكبير من قبضة الأسبان ما لم يشغلهم عن ذلك أي شاغل، فكلما حاولت القبائل الجزائرية مواجهة الأسبان إلا وسارع الحكام في دعمهم على أمل تحريرهما، أو على الأقل الحد من توسعات الأسبان خارجهما(يحيى بوعزيز، 2009: 25).

كان الأسبان المتواجدون في كل من وهران والمرسى الكبير يعيشون في حصار خانق تطوقه به الجنود الجزائريون رفقة القبائل العربية الرافضة للوجود الاسباني، مما دعا هذا الأخير لمحاولة الإفتكاك من هذا الحصار والذي كان له تداعيات اقتصادية وعسكرية واضحة؛ حيث أن الكثير من القبائل قد امتنعت عن دفع ضريبة السغورو وأعلنت تمردها على الأسبان خاصة بعد هزيمتهم على يد قبائل العرب سنة 1660م، لذا وجه الأسبان أنظارهم إلى تلمسان لعلهم يشغلون بها اهتمام حكام الجزائر عن مدينة وهران والمرسى الكبير ليفكوا عنهما الحصار، ولم يكن هذا هو السبب الوحيد الذي يقف وراء حملة الأسبان على تلمسان فإلى جانب ذلك كانوا يرغبون في الرد على هجمات البحرية الجزائرية التي كانت ترصد تحركات السفن الإسبانية في المتوسط وبعض المناطق من المحيط الأطلسي، ولذلك عمل الأسبان على إشغالهم بالجزائر لذلك أرادوا تشتيت جهود البحرية الجزائرية والضغط عليها لمواجهتها في تلمسان مستغلين في ذلك المشاكل الداخلية التي كانت تمر بها الجزائر آنذاك جراء تغيير نظام الحكم من نظام الأغوات إلى الدايات سنة 1671م وما انجر عن ذلك من اضطرابات داخلية تسبب فيها تنازع طائفتي الرياس والإنكشارية. (محمد خير فارس،1969: 69-70) فضلا عن اشتداد

الهجمات الخارجية التي كانت تشنها الدول الأوروبية على مدينة الجزائر وانشغال حكام الإيالة بها من أجل التوسع واحتلال مدينة تلمسان.

وجد الأسبان في هذه الظروف أحسن فرصة للتخلص من الحصار المفروض عليهم في وهران وتوسيع دائرة حكمهم في الغرب الجزائري إلى مناطق أخرى، وعليه تم تجهيز قوة عسكرية كبيرة كما انضمت إليها القبائل الموالية لهم تحت قيادة حاكم وهران الدون أنيقودي طوليدو (Anagodi de Toledo don) بدؤوا بمهاجمة القبائل المجاورة لأحواز وهران الخارجة عن سلطتهم، حتى بلغوا مدينة تلمسان شهر جوان 1675م وهاجموها بنية الاستيلاء عليها(يحيى بوعزيز، 2009: 52)، إلا أن مجموعة من القوات الجزائرية بمساعدة القبائل المحلية والسكان كانت لهم بالمرصاد وتصدت لهم(عزيز سامح ألتر،1989: 417).

لم تستطع القوات الإسبانية الصمود أمام القوات الجزائرية التي كبدتها خسائر بشرية فادحة اضطروا على إثرها للعودة إلى وهران للتحصن خلف أسوارها، أين ضرب الجيش الجزائري بالتعاون مع القبائل الساكنة بجوار وهران حصارا شديدا على الأسبان، بعدما أرسل الداي الحاج محمد باشا قوة من الإنكشارية لمساعدة المُحاصرين(يحيى بوعزيز، 2009: 52) ، لتتحول بذلك هذه الحرب إلى حملة على وهران بهدف تخليصها من الأسبان.

شدد الجزائريون الحصار هذه المرة على مدينة وهران لإنهاك الجيش الإسباني خاصة وأن الحصار امتد لجهة البحر أيضا، وقد استمر لمدة ثلاث سنوات تعرض فيه الطرفان لخسائر فادحة بسبب تفشي الأوبئة والأمراض بين أفراد الجيشين(عزيز سامح ألتر،1989: 417-418)، ولذلك اضطر الجزائريون رفع الحصار وفشلوا في تحرير وهران، إلا أنهم استطاعوا منع الأسبان من التوسع واحتلال تلمسان، وقد أكدت هذه الحادثة فشل الأسبان في احتلال أي مدينة أخرى من مدن الجزائر وحتى التوسع على حساب الأراضي القريبة من وهران؛ بل حتى أنه ليس باستطاعتهم المواجهة خارج أسوار مدينة وهران والمرسى الكبير، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الحملة لم تكن هي الأخيرة التي يقودها الأسبان المتواجدون في وهران؛ إذ تلتها عدة حملات أخرى نذكر منها على

سبيل المثال، ففي نهاية جانفي وبداية فيفري من سنة 1677م قاد حاكم وهران حملة على القبائل التي شاركت في حصار 1675م لكن سكان تلك القبائل ما اجبروه على التقهقر، وفي سنة 1678م نظم أتراك الجزائر حصارا جديدا على وهران لكنهم فشلوا في اقتحام المدينة، وفي نفس السنة قاد والي وهران الماركيز دي القارفي (Marqués de Algarfi) غارة خارج المدينة فقتل على إثرها، وفي سنة 1681م قتل حاكم وهران الكونت دي تيباوبيون(Conde de Tibaubion) في مواجهة العثمانيين وبني راشد فخلفته زوجته سنة كاملة، وكذلك في سنة 1687 قتل الكونت دي براكمونت(Conde de Bracmont) (مولاي بلحميسي، 1970: 63).

في سنة 1685 قاد الحاكم الاسباني لوهران حملة كبيرة نحو الأقاليم المجاورة، فعاد مرفوقا بحوالي 800 أسير وغنيمة ضخمة، ولكن هذا الحاكم وقع في كمين في السنة الموالية فقتل رفقة جنوده الذين كانوا يرافقونه، والملاحظ من خلال كل تلك الغارات أنه وبالرغم من مقتل عدد من الولاة الاسبانيين ظلت مدينة وهران عصية على الجيوش العثمانية مبقية الوضع فيها سجالا بين هؤلاء وأولئك.

1-2- حملة الباي شعبان الزناقي على وهران 1686م:

أ- أسباب الحملة: أراد الباي شعبان وضع حد للغارات الإسبانية على القبائل العربية القاطنة في بايلك الغرب(عبد القادر فكاير، 2012: 249)، والتي استفحلت إلى الحد الذي لم يعد يطاق ولا ينفع معه التأهب لصدها أو الرد عليها محليا، إلا بالقضاء على الاحتلال الإسباني من المنطقة بشكل نهائي، وقد وافق هذا الغرض ورغبة حكام الجزائر وولاة الأقاليم فيها في تحرير وهران والمرسى الكبير خاصة منهم الباي شعبان الذي كان يرى أن مسألة تحريرهما يقع على عاتقه كونه يحكم أقرب البايلكات من هما، وأن ضرر الاسبان فيهما يقع على أثره القبائل الواقعة تحت سلطته، ولذلك أولى اهتمامه بقضية تحريرهما(يحي بوعزيز، 2009: 52).

ب- سير الحملة:

شرع الباي شعبان في الإعداد لغزو وهران منذ توليه شؤون بايلك الغرب وكان ذلك سنة 1686م(أحمد توفيق المدني، 2007: 405)؛ إذ فرض حصارا شديدا عليهم بغرض

إنهاكهم واستنزاف مواردهم تمهيدا لغزوهم وفي ذلك يقول الآغا بن عودة المزاري : "...حتى منعهم من الخروج وضيق عليهم إلى أن صاروا في أحوج حال ولازموا بيوتهم والحصون وصاروا لا يفارقون الجواسيس والعيون..." (الآغا بن عودة المزاري، 1990: 228). كان الباي شعبان يدرك أن الأسبان لهم قوات كافية لمواجهة أي هجمة محتملة ضدهم، إضافة إلى احتمائهم بالحصون المنيعة التي كانت تحمي وهران والمرسى الكبير، ولذلك عمل الباي على إعداد جيش قوي بكل عدة متوفرة وعتاد متاح لديه؛ حيث استطاع جمع 4 ألاف مقاتل منهم 3 آلاف فارس(يحيى بوعزيز، 2009: 52)، وخرج على رأسهم قاصدا مدينة وهران وكله عزم على فتحها هذه المرة، لم يكن الأسبان غافلون عن ما يعده الباي شعبان لغزوهم في مدينة وهران والمرسى الكبير فبعد أن تناهى إلى أسماعهم ذلك سارعوا إلى تجهيز جيشهم، وطلبوا عون القبائل الموالية لهم كبني عامر وغمرة وكريشتل وغيرهم، فتمكنوا بذلك من جمع ما يقارب 3 آلاف مقاتل، منهم ألف فارس(الآغا بن عودة المزاري، 1990: 226).

ج- اندلاع المواجهات:

سار الباي شعبان بجيشه حتى بلغ به مشارف وهران ولما همّ بالهجوم عليها طلع عليهم الجيش الاسباني، والتحم الجيشان في كدية الأخيار ودارت معارك طاحنة بين الطرفين(يحيى بوعزيز، 2009: 53)، استمات فيها الطرفان وأبدوا جلدا وصبرا هائلين في القتال، إلا أن اختلالا أصاب صفوف الأسبان، الأمر الذي أحسن الجزائريون استغلاله لإمالة الكفة لصالحهم؛ إذ قدر عدد القتلى في صفوف الأسبان ما لا يقل عن 1100قتيل، وفي هذا الشأن يقول محمد بن يوسف الزياني :"...فجعلهم الله غنيمة للمسلمين وفيئا للموحدين فقتل في تلك الهزيمة أكثر من إحدى عشرة مائة..." (محمد بن يوسف الزياني، 1978: 149)، واصل الباي شعبان زحفه نحو مدينة وهران حتى وصل إلى أسوارها ونزل على مقربة من حصن رأس العين، ونشبت قرب هذا الأخير معارك عنيفة بين الطرفين تسببت في هزيمة الأسبان مجددا(الآغا بن عودة المزاري، 1990: 228)، لتواصل القوات الجزائرية تقدمها نحو المدينة، مستغلين في ذلك تقهقر القوات الإسبانية مما ساهم في تضييق الوضع عليهم تدريجيا واستمر الحال معهم حتى

بلغوا باب وهران(محمد بن يوسف الزياني، 1978: 149)، وكاد ينجح في تحريرها لولا المؤامرة التي حاكتها ضده القبائل العميلة للأسبان، فقد تمكن أحد المغاطيس(أنظر التعليق رقم 2) من إصابته بسهم استشهد على إثرها، ودفن قرب المدينة(الآغا بن عودة المزاري، 1990: 228)، وبعد استشهاده تأثرت معنويات الجيش الجزائري وآثروا الانسحاب على الاستمرار في هذه الحملة، وتحصن الأسبان وراء أسوار المدينة مفوتين بذلك الفرصة على الجزائريين لتحرير المدينة وطرد الأسبان منها(يحي بوعزيز، 2009: 53)، وفي ذلك يقول ابن سحنون الراشدي:" ...ثم سلط عليها السيد شعبان فأظهر فيها من نجدته ما سارت به الركبان، وشاع له به أكبر صوت وكاد أن يزيل الغصبة لولا أن الله عاجله بالموت..." (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، 1973: 192)، ويقول الآغا ابن عودة المزاري في استشهاد الباي :"... حدثني بعض من حضر أنه تكسر في يده يوم استشهاده سيفان وأنه لبس أفخر الثياب وتحلى بأشرف حليته، وركب أجود مراكبه، وملأ جيوبه دنانير الذهب افتخارا على العدو أن بقي بأيديهم فوجدوه على تلك الحالة ..." (الآغا بن عودة المزاري، 1990: 229)، وعلى الرغم من فشل الجزائريين في تحرير وهران إلا أنهم لم يفكروا في فك الحصار عنها؛ بل واصلوا التضييق على الاسبان ولم يسمحوا للمحاصرين بأدنى حركة خارجها(أحمد توفيق المدني، 2007: 406).

1-3- هجوم إبراهيم خوجة على وهران 1687م:

بعد تأكد مقتل الباي شعبان الزناقي وانسحاب قواته فرح الأسبان فرحا شديدا واشتدت شوكتهم على العرب بالغرب الجزائري وراحوا يغزونهم في البيوت والخيام مستغلين في ذلك خلو البايلك من باي يسوس شؤونه فهاجموا منطقة تسالة وأسروا المرابط سيدي بلاحة المهاجي(أنظر التعليق رقم3) هو وبناته الثلاثة إضافة إلى خمسين رجلا من زاويته وأهدى أحد بناته لبوعزة بن حميدة شيخ أولاد سليمان والأخرى لشيخ أولاد علي(محمد بن يوسف الزياني، 1978: 150).

أمام هذه الوضعية المتفاقمة في بايلك الغرب الجزائري سارع الداي الجزائري بكداش خوجة(أنظر التعليق رقم4) إلى استدراك الأمر وقام بتعيين "مصطفى بن يوسف بوشلاغم المسراتي" بايا على بايلك الغرب، والذي جاء إلى الحكم وهو كلّه عزم

لإخضاع كل البايلك لسلطته والانتقام من الأسبان لقتل الباي السابق(بومدين دباب، 2016-2017: 49)، ردا على التجاوزات الكبيرة التي قام بها الاسبان في حق سكان الغرب الجزائري بما فيهم الشيخ بلاحة المهاجي، قام الباي الجديد بتوجيه حملة عسكرية إلى الاسبان المعتصمين بمدينة وهران والمرسى الكبير وقد أوكل قيادتها إلى إبراهيم خوجة بهدف الانتقام لهم وتحرير وهران، فضيق عليها الحصار ونصب المدافع المختلفة مقابل حصونها، وشرع في قصفها سنة 1687م(يحي بوعزيز، 2009: 53)، وفي الوقت الذي كان القائد إبراهيم خوجة بصدد الهجوم على وهران واقتحام حصونها، كانت الأخبار قد تناهت إلى داي الجزائر حسين باشا ميزمورتو(1683 - 1688م) عن عزم الفرنسيين القيام بحملة على الجزائر بقيادة الماريشال دوستري(Mariscal Dostry) ، الذي شرع في التضييق على مدينة الجزائر ومحاولة حصارها، لذلك اتخذ الداي بموافقة الديوان قرارا يقضي بسحب جميع الآليات الحربية التي كانت تحت تصرف إبراهيم خوجة في حصاره لوهران، من أجل الاستعداد والتصدي لحملة دوستري (Dostry)إذا ما أنزلت إلى البر(أحمد توفيق المدني، 2007: 406)، وعلى الرغم من قصف الفرنسيين لمدينة الجزائر بحوالي 10 آلاف قذيفة إلا أنهم في الأخير انسحبوا ولم يحصلوا على شيء، لأن الداي لم يتنازل ولم يستسلم ورجع دوستري(Dostry) إلى فرنسا بدون نتيجة (أحمد توفيق المدني، 2010: 63).

2- مساعي السلطان المغربي المولى إسماعيل لطرد الأسبان من وهران:

لقد كان الملوك العلويين في المغرب الأقصى يراقبون عن كثب التطورات التي كانت تحدث بين أتراك الجزائر والأسبان المحتلين لمدينة وهران والمرسى الكبير لعلهم يجدون فيها أي فرصة يحققون بها أحد الغايتين، والمتمثلتين أساسا في التوسع على حساب الأراضي الجزائرية أو تحرير وهران من قبضة الأسبان ظنا منهم أن من يحررها سيحوزها لنفسه، وما يؤكد هذا الطرح هو كثرة الغارات المغربية على الجزائر عامة وعلى وهران تحديدا خاصة في عهد المولى إسماعيل وهو ما سنقف عليه في ما يلي.

2-1- موقف المولى إسماعيل من غزو الأسبان لزاوية الشيخ بلاحة المهاجي:

لم يقف السلطان المغربي المولى إسماعيل موقف المتفرج إزاء ما يحدث في وهران من تجاوزات خطيرة كان يقوم بها الأسبان ضد سكان الغرب الجزائري، فبعد وصول خبر استشهاد الباي شعبان وما يقوم به الاسبان والقبائل الموالية لهم ضد القبائل العربية الرافضة لفكرة الخضوع لهم، وهو ما كان يثير حفيظة ليس الحكام فحسب؛ بل كل أهل المنطقة وهو ما عبر عليه الشاعر المغربي "القاضي البوعناني" مفتي فاس عن هذه الحملة ودعا فيها المولى إسماعيل بتحرير وهران بقوله:

ووهران تنادي في كل يوم متى يأتي الأمير متى يزور

(عبد الهادي التازي، 1988: 20)

لتأتي حادثة أسر الشيخ بلاحة المهاجي وبناته بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس، وهو ما أعطى لسلطان المغرب المولى إسماعيل دافعا رئيسيا لشن حملة عسكرية على وهران وعليه قرر تحريك حملة عسكرية لافتكاك المدينة من قبضة الأسبان وجمع لذلك جيشا من أقاصي سوس وبني زناسن، وجاء على رأس ألفين من الخيالة وعدد من الجنود واستولى على ماشية بني عامر ثم رابط قرب المدينة إلى أن رده حاكمها الدوق دي كانزانو (duque De Canzano) (بومدين دباب، 2016-2017: 39)، وقد تضاربت المصادر في نوايا المولى إسماعيل بخصوص هذه الحملة وإن بدت في ظاهرها تأديبا للقبائل حليفة الأسبان وطرد هؤلاء من وهران وقد ذكر المزاري أن سبب حملة مولاي إسماعيل على مدينة وهران هو محاولته الانتقام لمقتل الباي شعبان الزناقي(الآغا بن عودة المزاري، 1990: 231)، إلا أن هذا الأمر مستبعد إلا حد ما إذ أن سلطان المغرب لم يكن يحمل الود لحكام الجزائر إلى الحد الذي يقود فيه حملة انتقامية لمقتل أحدهم ثم إن نوايا المولى إسماعيل تغيرت بعد عجزه عن تحرير وهران إلى رغبة في التوسع على حساب الأراضي الجزائرية، وما إن بدا في حملته التوسعية حتّى ارتمت هذه القبائل بين أحضانه كبني عامر والحشم وشجّعت نواياه(Lespinasse, 1877 : 145 (E))، لأنّه ادّعى بأنه سوف ينهي الوجود العثماني بالجزائر، فارتحل مشرقا إلى أن وصل إلى المنطقة المسماة" زبوجة الوسط" فقامت عليه الأعراب مع العثمانيين فرجع إلى المغرب : Galibert, 1976) 60)

2-2- هجوم المولى إسماعيل على وهران سنة 1693م:

بالرغم من السلام المبرم بين الجزائر والمغرب الأقصى سنة 1693م، إلا أن هذا السلام لم يمنع المولى إسماعيل من التوجه إلى وهران لتحريرها من الاحتلال الإسباني، معتبرا أن ما تم الاتفاق عليه مع داي الجزائر لا يشملها فانطلق على رأس جيش يتألف من 20 ألف فارس وتذكر المصادر أنه أراد الاستيلاء على 150 ألف رأس من قطيع قبائل موالية للسلطة الإسبانية لكن هذه القبائل اتخذت احتياطاتها ووضعت قطيعها في مكان آمن.

وصل الجيش المغربي في 20 جويلية 1693 إلى وهران(صورية حصام، 2018-2019: 191)، وشرع مباشرة في مهاجمة المدينة محاولا اقتحام حصونها "كحصن روزا الكزار "Cosa Alkasar(أنظر التعليق رقم 5)" لكنه لم ينجح، فأعاد الكرة في 24 جويلية لكن محاولته باءت بالفشل مرة ثانية، ويعود السبب في ذلك إلى قوة الأسبان وشدة تحصيناتهم ومقتل عدد كبير من جنده، وقد أثار ذلك حفيظة الأتراك العثمانيين في الجزائر(Louis Abadies, 2002 :19).

بعد أن تيقن المولى إسماعيل من عدم جدوى محاولة فتح وهران وأن بقاءه بعيدا عن مملكته قد يتسبب له في كارثة يمكن أن تحل بجنده، قفل عائدا إلى بلاده وفي الطريق فوجئ بهجوم شنته ضده بعض القبائل العربية وألحقت به هزيمة نكراء، ولم تتطرق المصادر إلى اسم القبائل، واكتفت بذكر أنها عربية فقط (Cazenave Jean, 1930 : 15).

2-3- حملة السلطان العلوي(مولاي إسماعيل):

لم يرضخ السلطان المغربي لواقع الحال وهو عدم قدرته على تحرير وهران من قبضة الأسبان هذا من جهة ومن جهة أخرى إن وقوع المدينة في التراب الجزائري يرجع الحق في تحريرها إلى حاكم الجزائر إلا أن المولى إسماعيل لم يكترث لذلك؛ إذ قام سنة 1694م بتسيير حملة عسكرية جديدة نحو وهران لعله ينجح هذه المرة في تخليصها من الأسبان وضمها إلى ممتلكاته، فانطلق على رأس ألفين من الفرسان فاستولى في البداية على قطعان غنم من بني عامر وحاصر وهران(محمد السعيد بوبكر،2010-2011: 76)، إلا أنه فشل ورجع أدراجه.

لم يكن السلاطين العثمانيين راضون على ما كان يحدث للحدود الجزائرية المغربية وحاولوا وضع حد لها بتوجيه تحذير شديد اللهجة للملوك العلويين وهو ما تضمنته إحدى الرسائل مؤرخة في 1696م، والتي بعث بها السلطان العثماني مصطفى الثاني بن محمد (1695م- 1703م) إلى المولى إسماعيل وجاء فيها:" ...لقد ورد علينا كتابكم الذي يعبر عن الود والصداقة المتوارثين فيما بين الأمتين... وأنه حين جلوسنا على العرش، ونحن نقوم بأنفسنا على تقرير قواعد الملة خدمة لمصالح الأمة ورفعا لراية الجهاد وحماية للثغور الإسلامية، وأننا لن نسمح بقيام المحظورات الشرعية في بلادنا..." (عبد الهادي التازي، 1988: 19)، وعنه يقول الناصري:" فانتدب رحمه الله وامتثل"(أحمد بن خالد الناصري،1997: 87)، ثم أرسل نفس السلطان العثماني رسالة أخرى مطولة في 22 شوال 1110 هـ، 22 أفريل1699م باللغة العثمانية جاء فيها:"... أن الجزائر ضمن ممالكنا المحروسة....وإن سكان البلاد وأهلها وحكامها، وجندها منقادة من بعد أجدادنا لنا...وإنه ما تزال توجد مليلية، والبريجة، وسبتة وبادس، وهي تقع في جوار تلمسان، وهي "وهران" تريدون أن تحوزوها بأعذار واهية(عبد الهادي التازي، 1988: 20)، ويظهر من خلال تاريخ الرسالة الثانية أن المولى إسماعيل أعاد الهجوم على وهران في الفترة الممتدة ما بين سنتي 1696م و1699م، وأن الرسالة كانت ردا على تلك المحاولة، التي أثارت حفيظة الأتراك العثمانيون في الجزائر، بدعوتهم له بأن يقوم بتحرير ثغوره المحتلة قبل أن يحرر أراضي غيره.

2-4- حملة مغربية جديدة على وهران 1700م:

لقد كانت الجزائر تمر بوقت عصيب في أواخر القرن السابع عشر تميز الوضع فيها باشتداد الغزو الأوروبي على السواحل وقد تزامنت هذه الهجمات واجتياز باي تونس مراد بوبالة للحدود يقود جيش كبير الشرقية بهدف احتلال الجزائر، وهي الفرصة التي انتظرها السلطان المغربي كما تشير عديد المصادر التاريخية إلى وجود اتفاق سري مبرم بين المولى إسماعيل والباي التونسي يقضي بالتعاون في القضاء على أتراك الجزائر وذلك بمهاجمتهم من الجهتين الشرقية والغربية في ذات الوقت، ولذلك وجه السلطان المغربي حملة باتجاه وهران(1012هـ/ 1700م)، وحط الرحال بجبل هيدور واستعان بمخنس

من قبيلة سويد لمساعدته على قتال الاسبان(الآغا بن عودة المزاري، 1990: 230)، وبدأ في قتالهم حتى وصل إلى برج مرجاجو الذي حال دون اقتحامها، فغير مكان رباطه إلى جبل المائدة؛ حيث لاحظ مناعة التحصين وقوة الاستحكام التي أتقن الاسبان صنعها، فتأكد من استحالة اقتحامها وهزم الاسبان فيها، فقال مقولته الشهيرة:"... هذه أفعى تحت حجر تضر ولا تضر..." (محمد بن يوسف الزياني، 1978: 151)، وكان يقصد الحجر جبل مرجاجو لأنه كان سببا في منعه من اقتحامها ويقول عن ذلك أبو راس في قصيدته السنيته نفيسة الجمان التي شرحها في كتابه عجائب الأسفار ولطائف الأخبار:

أولُ عامٍ مِن قَرنِ ثَّانِي عشرٍ جمع إِسماعِيلَ لها أقَاصِي سسٍ
فَحطَّ كَلْكَلَه حوَلها معتزِما علَى النزالِ فَلَم يجِد محلَ بوسٍ
قَام بِالْهيدورِ أياما يحتالُ لها قَد استعانَ بِما حوَلهـا فِي مخِس
وأعيته حِيلَتها حزما و منعتها عقَاب الْجو قَد إِرتقَى علَى ردسٍ
فَقَال هِي حيةٌ تحت صخرتِها تتضر و لا الضرّ يأْتِي لها مِن أنسٍ

(محمد بن أحمد أبو راس الناصري، 2005 :148-154)

وهو نفس ما ذكره الجامعي في شرحه لقصيدة شيخه الحلفاي المسماة الحلفاوية في كتاب فتح وهران: "... ودخل عليها مولانا إسماعيل في عزمه سنة 1104هـ أربع ومائة وألف فرآها أمنع من بيض أنوف... فقال هذه صخرة يعني المدينة لتحصنها بهذه القلعة بمنزلة الأفعى الملتوية تحت صخرة والإقدام قلعة الصخرة تحت مما تستعظمه النفوس... "(عبد الرحمان الجامعي، 2002: 106).

وتجدر الإشارة في تتمة هذا الجزء من الموضوع والمتعلقة بمساعي المولى إسماعيل في تحرير مدينة وهران إلى أن سياسة السلطان المغربي لم تكن ذات طابع عدائي محض؛ بل تخللتها في بعض الفترات شيء من الودية أو إن صح التعبير المداورة والحنكة إذ أنه وفي إطار العلاقات السياسية بين المغرب والأسبان من جهة، والمغاربة الأتراك العثمانيون في الجزائر من جهة أخرى، وفد إلى المولى إسماعيل حوالي عشرة من الأسبان يحملون رسائل دبلوماسية، يطلبون فيها توسط لهم مع حكام الجزائر في مسائل التهدئة

بمنطقة وهران(محمد بن الطيب القادري، 1996: 1841)، وكان ذلك في يوم عرفة "ذي الحجة سنة 1108هـ / 1696م" وفي ذات السياق جاء في كتاب التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، أن القائد أوزان حسن(أنظر التعليق رقم 6) لما تم له الاستيلاء على حصن بن زهوة يوم 05 شعبان 1119هـ/ 31 أكتوبر 1707م(محمد بن ميمون الجزائري، 1987: 222)، قتلوا جميع ما فيه من الأعداء وعددهم مائة وعشرين، إلا تسعة أو ثمانية فروا إلى حرم الباي، فأعطاهم هدية إلى سلطان المغرب مولاي إسماعيل(محمد بن ميمون الجزائري، 1987: 222).

3- فتح وهران الأول 1708م وموقف المولى إسماعيل منه:

3-1- الظروف والعوامل المساعدة على فتح وهران الأول:

-تولي الداي محمد بكداش باشا حكم إيالة الجزائر: وهو الذي عرف بإصراره على طرد الأسبان من الأراضي الجزائرية، وقوة شخصيته ودهائه العسكري؛ حيث استطاع تأمين الجبهة الداخلية والخارجية ليتفرغ إلى مواجهة الأسبان، فأرسل في ذلك إلى كل جهات الجزائر يحثهم على الجهاد(أحمد توفيق المدني، 2010: 225).

- تحريض العلماء والفقهاء والصلحاء والشعراء والذين ما فتئوا يحرضون الحكام على محاربة الكفار وتحرير وهران من أسرهم، ومن ذلك قول أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن:

نادتك وهرانَ فَلَبِي نِداها وَأنزِلْ بِها لاَ تقْصدنَّ سواها
واحلُلْ بِها تلْك الأَباطح والرّبا واستَسرِخنَّ دفينها الأَوّاها
واستدعِ طَائفةَ العساكرِ نحوها يغزو بِها ولْينزلوا بِفناها

(عبد الرحمان الجامعي، 2002: 44).

- عزلة الحامية الإسبانية بوهران والمرسى الكبير: والتي يعود السبب فيها إلى تردي الأوضاع الداخلية التي كانت تعيشها إسبانيا، نتيجة للصراع حول العرش وانشغال الساسة والعسكريين بها، مما أدى إلى إهمال الحامية خاصة تجديد الحصون والإمدادات بالمؤن والعتاد الحربي، زاد أوضاع هذه الحامية تأزما لامتناع القبائل الموالية لهم عن دفع الضرائب التي اعتادت دفعها(محمد السعيد بو بكر، 2010-2011: 80)،

ويرجع ذلك إلى الحصار الذي فرضه مصطفى بوشلاغم عليها مما قلص من تحركاتهم ونفوذهم خاصة قبيلة بني عامر والقبائل المجاورة لها، والتي كانت تقيم علاقات وطيدة مع الأسبان مما سهل على مصطفى بوشلاغم إحكام الحصار عليهم وقطع طرق الإمدادات عنهم من جهة البحر(عزيز سامح ألتر، 1989: 458).

- **حصار1704_1708م:** استطاع الباي مصطفى بوشلاغم فرض حصار طويل دام حوالي أربع سنوات أدى إلى إنهاك القوات الإسبانية المتواجدة بوهران والمرسى الكبير، فمنع عنها الإمدادات عن طريق البر تمهيدا لمهاجمتهما وتحريرهما نهائيا.

3-2- الاستعداد لعملية الفتح: لقد أولى الداي محمد بكداش أهمية بالغة لتجهيز جيش الفتح حتى يكون على أتم الاستعداد للقيام بالهجوم على الأسبان المتحصنين بوهران والمرسى الكبير، وقد قدرت المصادر التاريخية تعداد هذا الجيش بما لا يقل عن سبعة وعشرون ألف 27000 جنديا متشكلين من جيشين أحدهم نظامي يتراوح عدده بين 8 آلاف و9 آلاف مقاتل وآخر من المتطوعين إليهم جماعات كبيرة من المشاة الفرسان الغير نظاميين وهم من العرب والبربر الراغبين في الجهاد، والذين قدرعددهم حسب بعض الروايات ب 17 ألف متطوع(عبد الرحمان الجامعي، 2002: 91)، في مقدمهم طلبة العلم وحفظة القرآن الكريم الذين كانوا أشد الناس مسارعة لإجابة نداء السلطان للجهاد، وكانت شوكتهم على الكفار أقطع من الرماح، وبلغ عددهم ما بين 700 و1000 مقاتل(عبد الرحمان الجامعي، 2002: 87-89)، بالإضافة إلى قوات مصطفى بوشلاغم المقدرة بحوالي 2500 جندي تركي والتي كانت تحاصر وهران والمرسى الكبير في عهد حسن باشا الذي لم يدعم القوات المحاصرة(عبد القادر الجزائري المشرفي، د.س.ط: 39)، وتم تزويد هذا الجيش بالعتاد الحربي كالمدافع الضخمة وكميات كبيرة من البارود قدرت آنذاك بنحو 3300 قنطار(عبد الرحمان الجامعي، 2002: 77-78). وقد أوكلت هذه المهمة الجليلة "لحسن أوزان" وهو الذي يُشهد له بالحنكة والكفاءة العسكرية، وقبل انطلاقه قام بتقسيم الجيش إلى قسمين: قسم بحري قام بنقل المدافع والألغام من أجل إحداث أضرار بالحصون ليسهل اقتحامها، وقسم آخر يضم الجنود حيث اتخذ طريق البر، وبعد الانتهاء من كل الإعدادات اللازمة لشن هذه الحملة انطلق الجيش الجزائري

باتجاه الغرب الجزائري، في أول صفر عام (1119هـ/1707م) واضعين بين أعينهم هدفا واحدا وهو تحرير مدينة وهران والمرسى الكبير من الأسبان ومعاقبة القبائل المتعاطفة معهم، وبعد أن تأكد حسن أوزان من سير الجيش أقلع هو من ميناء مدينة الجزائر مصطحبا معه المدفعية، وكان ذلك في محرم 1119هـ(محمد السعيد بو بكر، 2010-2011: 89)، وكان نزول جيشه بمرسى آرزيو في شهر ربيع الأول 1119هـ/ 14 جوان 1707م(أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي، 2012: 68)، ثم توجه بعدها إلى وهران من البر وهذا لاستحالة محاصرة المدينة من البحر وذلك لحيلولة الجنود الإسبان بينهم وبينها(أحمد توفيق المدني، 2010: 426)، وبعد التئام كل عناصر الجيش الجزائري قرب وهران تم الاتفاق على خطة الهجوم كما أسندت القيادة العامة لحسن أوزان وإدارة العمليات العسكرية على الأرض لمصطفى بوشلاغم(أنظر التعليق رقم7) لما لها من دراية واسعة عن المنطقة وكيفية تحرك القوات الإسبانية وأتباعها.

3-3- الشروع في فتح وهران:

أ-المرحلة الأولى : تحرير الأبراج: لقد شكلت الأبراج والحصون المحيطة بمدينة وهران أحد أبرز العوامل التي وقفت حائلا بين الجزائريين وفتحهم للمدينة وهو ما دفع الأسبان لتجديده وتحصينها بشكل دوري، إلا أن الظروف التي مرت بها المملكة الاسبانية في بدايات القرن الثامن عشر جعلتها تغفل عنها وتهملها إلى حد ما الأمر الذي استغله الجزائريون في فتحهم لوهران أحسن استغلال وهو ما سهل عليهم عملية تحرير المدينة من الاحتلال الإسباني وذلك على النحو التالي:

-تحرير حصن العيون Chateau des saints: يعد هذا الحصن أهم حصون وهران وهذا لتوفره على عيون الماء، والتي تزود مدينة وهران بالمياه، لذلك كان لزام على حسن أوزان تدميره، لذا أمر قواته بضرب حصار شديد عليه بتاريخ 15 ربيع الأول 1119هـ-14 جوان 1707م، وقاموا بسد مجرى الماء بهدف تعطيش سكان وهران وإجبارهم على الخروج إليهم، لتندلع بعد ذلك المعركة؛ إذ شرعت القوات الجزائرية في قصف الحصن بالمدافع والقنابل وأحدثوا فيه أضرارا جسيمة مما سهل عليهم اقتحامه(محمد بن ميمون الجزائري، 1987: 213)، لتنتقل بذلك المعركة إلى داخل الحصن وقد كانت

الغلبة في الأخير للجزائريين الذين ألحقوا بالاسبان خسائر بشرية فادحة، ولم يجد الاسبان حلا غير الاستسلام وإعلان الطاعة وطلبوا الأمان من الأمير، وقدر عددهم بحوالي 107 مقاتل وبعض النسوة(عبد الرحمان الجامعي، 2002: 96)، وتم إعلان فتح هذا الحصن يوم 10 جمادى الثانية 1119هـ -08 سبتمبر 1707م(محمد بن ميمون الجزائري، 1987: 215). وفي ذلك يقول الجامعي:

فَكَانَ باكُورةَ ذَلك الفَتحِ بُرج العُيون فَامنًا للنجحِ

عاشرَ يومٍ من جُمادى الأُخرى يَوم الُثلاَثاءْ مساءَ فَسَرا

(عبد الرحمان الجامعي، 2002: 96).

-تحرير حصن الجبل Santa Cruz : ما إن فرغ الجزائريون من فتح برج العيون وتحصينه حتى باشرت القوات الجزائرية زحفها نحو بقية الأبراج ليأتي الدور هذه المرة على برج الجبل، فأحاطوا به من كل جانب وطوقوه بخندق، وشرعوا في قصفه يوم 25 جمادى الأخرى 1119هـ -22 سبتمبر 1707م(محمد بن ميمون الجزائري، 1987: 217)، ودارت معارك عنيفة سعى فيها كل طرف إلحاق الهزيمة بالآخر، وسرعان ما أدرك الأسبان أن لا جدوى من المقاومة أمام إصرار الجزائريين على افتكاك البرج(عبد الرحمان الجامعي، 2002: 228)، فآثروا الاستسلام وتسليم البرج في 27 جمادى الأخرى 1119هـ- 28 سبتمبر 1707م(محمد بن ميمون الجزائري، 1987: 207).

-تحرير حصن ابن زهوةChateau Saint Grégoire: بالموازاة مع محاولة فتح حصن مرجاجو، أمر حسن أوزان الجيش الجزائري بحصار برج ابن زهوة وكان ذلك في يوم 22 جمادى الأخرى 1119هـ(محمد بن ميمون الجزائري، 1987: 221)، ثم بدؤوا في مهاجمة البرج إلا أنه استعصى عليهم وتكبدوا فيه خسائر جسيمة؛ إذ استشهد في صفوف الجزائريين المئات من الجنود وأعداد من الجرحى، ورغم ذلك تواصلت المعارك لمدة 8 أيام كاملة(أحمد توفيق المدني، 2010: 422)، ومع استحالة الاستيلاء على هذا البرج استدعى حسن أوزان المدد من الباي مصطفى بوشلاغم الذي قدم بمحلته ونزل بالتراب الأحمر المقابل لبرج بن زهوة، ثم بدأت قواته في حفر مفارز وصناعة مصاعد من الحطب لتسلق

البرج، واستطاعوا عزله وقطع المدد عنه من جهة البحر(عبد الرحمان الجامعي، 2002: 76)، فاضطر الأسبان للخروج من وهران نجدة للأسبان المحاصرين في البرج.

بعد معارك طاحنة تيقن الجزائريون من استحالة تحرير البرج إلا بتفجيره بواسطة المتفجرات من تحت الأرض، لذلك أمر حسن أوزان بحفره رغم صلابتها ومشقة الحفر فيها، وبعد أن انتهوا من الحفر زرعوا الألغام وقاموا بتفجيرها، إلا أنها لم تحدث الأثر المأمول فأعادوا المحاولة مرة ثانية وفشلوا أيضا، وفي الثالثة نجحوا فانهار البرج وهاجمه الجزائريون لكن الاسبان استمروا في المقاومة بشراسة إلى أن استطاع الجزائريون السيطرة على البرج في يوم الثلاثاء 05 شعبان 1119هـ -06 نوفمبر 1707م(محمد بن ميمون الجزائري، 1987: 222)، وقتلوا كل من كان بداخله.

-تحرير البرج الجديد (الصبايحية) Le fort saint kandre: اتبع الجيش الجزائري مع هذا الحصن نفس سياسته في فتح الحصون السابقة وهو الحصار؛ إذ دامت مدة حصار هذا البرج 8 أيام، مما اضطر الأسبان الموجودين فيه للاستسلام بدون أي مقاومة، فيما فضل بعضهم الهروب إلى البرج الأحمر(درويش الشافعي، 2010-2011: 93)، فيما استمر المهاجمون مسيرهم حتى بلغوا إلى كنيسة سانتا ماريا وقاموا بالاستيلاء عليها، وأصبح قسم كبير من مدينة وهران تحت سيطرتهم وهو القسم الموجود ما بين البرج الجديد والبرج الأحمر، وبذلك أصبحت المعارك تدور داخل أسوار وشوارع مدينة وهران(أحمد توفيق المدني، 2010: 430)، وبعد السيطرة على هذا البرج أصبح من الواضح أن سقوط مدينة وهران بيد الجيش الجزائري مسألة وقت، ولا يتطلب إلا مزيدا من الصبر والعزيمة حتى يتحقق لهم ما عجزوا عن تحقيقه طيلة قرنين ونيّف من الزمن.

- فتح البرج الأحمر (الأمحال): بعدما استطاع الجزائريون فتح البرج الجديد فكروا مباشرة في مواصلة عملية الفتح حيث استطاعوا السيطرة على البرج الأحمر في يوم واحد، على الرغم من الصبر والمقاومة التي أبداها الاسبان في الدفاع عنه فقد قاوموا من المساء إلى الصباح، لكنهم تأكدوا من استحالة مواصلتهم المقاومة فطلبوا الأمان، وفي ذلك يقول ابن ميمون:"... ولما بصروا بفتح المدينة، تمزقت قلوبهم بضربة مكينة وتشاورا فيما بينهم، ورأوا أن الهلاك يفضي إليهم، لكنهم أظهروا التجلد فحاربوا يوم الفتح، من

المساء إلى الصباح ثم مكثوا هنيئة من الزمان، وطلبوا الأمان من الموت وأسفا على ما يفقدونه بطول المدة، وخرج النصارى وصاروا أسرى نحو560 وألقوا أسلحتهم..." (محمد بن ميمون الجزائري، 1987: 238).

ب- المرحلة الثانية: فتح المرسى الكبير: بالرغم من أن هذه الدراسة مقتصرة على وهران تحديدا دون المرسى الكبير؛ إذ لا يمكننا قطع الصلة بين تحرير الأولى والثانية فهذه العملية بدأت بوهران لتنتهي بالمرسى الكبير، فقد طوقه أوزان حسن بحصار مشدد مدته ثلاثة أشهر من الجهتين البرية والبحرية، ابتداءً من يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذي الحجة، واستعملت الألغام وزن كل واحد منهم 50 قنطار من البارود فكانت ثلاث ألغام ففجرت إلا أنها لم تتمكن كلها من تحطيم السور، وفي اللغم الرابع تحطم جزء من الحصن، وتمّ الفتح بتاريخ الثالث عشر من محرم الموافق 19 جانفي 1708م(عبد الرحمان الجامعي، 2002: 131-132)، وكان عدد الأسرى الإسبان (3000) أسير(محمد بن ميمون الجزائري، 1987: 246). حاول بعض المتطوعين الاسبان الذين قدموا من إسبانيا تقديم النجدة من البحر، لكن المدفعية العثمانية ردتهم في البحر لتستسلم بعد ذلك الحامية الإسبانية في6- 4- 1708م(مولاي بلحميسي، 1970: 72).

بهذا تم فتح مدينة وهران، وكامل الحصون المحيطة بها، وكان هذا هو نهاية الاحتلال الإسباني بالجزائر في بداية القرن الثامن عشر، وسوف يتمكن الأسبان من العودة في 1732م.

3-4- موقف المولى إسماعيل من فتح وهران الأول: وبالعودة إلى المولى إسماعيل الذي كان يترقب هو ورعياه المغاربة عن كثب ما كان يحدث بين القوتين العثمانية والاسبانية على الأراضي الوهرانية ومن المؤكد أنهم كانوا يدعون بالنصر للمسلمين على الكفرة، وهو ما تحدثت عنه المصادر المغربية، فكتب الناصري " دخلت سنة عشرين ومائة وألف، فيها افتتح الترك مدينة وهران، وكانت بيد الاسبنيول مدة، فردها الله على المسلمين يومئذ، وفيها أمر السلطان بقراءة حديث الإنصات يوم الجمعة عند خروج الخطيب وجلوسه على المنبر "(أحمد بن خالد الناصري، 1997: 44)، ولم يقتصر موقف المولى إسماعيل من حدث تحرير وهران على إظهار سعادته بهذا النصر لداي الجائر فقط؛ بل

تعداه إلى توجيه سفارة إلى القسطنطينية لتهنئة السلطان العثماني أحمد الثالث بخبر انتصار الجزائريين على الأسبان بوهران 1120هـ/ 1708م. (عبد الهادي التازي، 1988: 21).

ومن خلال ما سردناه يتضح أن المولى إسماعيل كان منشغلا بأمور المسلمين في وهران المحتلة من طرف الكفرة وأن المناوشات بين السلطتين لم تكن حاجزا للتعبير والوقوف المعنوي إلى جانب سكان وهران والدليل على ذلك الموقف الايجابي الذي أبداه المولى إسماعيل وفرحته بهذا النصر.

-خاتمة:

يمكننا القول في ختام هذه الدراسة أننا قد توصلنا إلى جملة من الحقائق التاريخية التي كان يشوبها الشيء الكثير من الإبهام والغموض وهو ما نلخصه في النقاط التالية:

- لقد شكل احتلال الأسبان لمدينة وهران والمرسى الكبير واحتفاظهم بهما لمدة طويلة مكنهم من تثبيت أقدامهم فيها بشكل أصبح معه أمر تحريرها صعبا للغاية، وما زاد الأمر صعوبة هو تعاطف العديد من القبائل كبني عامر وغيرها.

- لم يتمكن الأتراك الجزائريون قبل 1708م من تخليص المنطقتين من قبضة الأسبان، إلا أنهم وقفوا سدا منيعا في وجه كل المحاولات الإسبانية للتوسع خارج مدينة وهران.

- إن المحاولات المتكررة لدايات الجزائر وبايات الغرب الجزائري ضد الأسبان في وهران والمرسى الكبير تعكس حجم ومدى اهتمامهم بقضية تحريرهما وطرد الإسبان منهما، وذلك رغبة في التخلص من الخطر الذي كان يشكله هذا الاحتلال على قبائل الغرب الجزائري خاصة وعلى الجزائر عموما.

- لم يقف ملك الدولة العلوية في المغرب الأقصى المولى إسماعيل موقف المتفرج على ما يحدث في وهران من صراع بين الأسبان والعثمانيين أو حتى تلك التجاوزات التي كان يقوم بها الأسبان ضد القبائل الرافضة الخضوع لهم، وهو ما كان يستخدمه الملك العلوي ذريعة لتدخلاته العسكرية المتكررة في المنطقة وإن اختلفت المصادر التاريخية حول نيته في ذلك بين تحريرها وحيازتها لنفسه أو ردها إلى أصحابها الجزائريين.

- لقد وجد الأتراك العثمانيون في الجزائر في الظروف السياسية التي كانت تمر بها المملكة الإسبانية أحسن فرصة فاستغلوها أمثل استغلال وحرروا على إثرها مدينة وهران من تسلط الأسبان، ويعود في ذلك الفضل بعد الله للقيادة الحكيمة لقائد الحملة حسن أوزان.

- لم يسلم الأسبان لحقيقة فقدانهم لمدينة وهران والمرسى الكبير ولذلك شنوا حملة عسكرية كبيرة تمكنوا بها من استرجاع المنطقتين مجددا وكان ذلك في سنة 1732م.

وفي الأخير لا يسعنا إلاّ الإشارة إلى أنه وبالرغم من تناول العديد من الدراسات الأكاديمية والحرة لهذا الموضوع ضمن مواضيع عامة في إطار البحث في العلاقات الجزائرية الإسبانية والمغربية، إلا أنه يبقى المجال مفتوحا للباحثين من أجل تخصيص دراسة معمقة لهذا الجانب كونه مجالا خصبا يستحق الخوض في تفاصيله.

التعليقات:

-**التعليق 01**: يقع إلى الغرب من وهران وهو قصبة منيعة ليس لها إلا طريق واحد يؤدي إليها، مقداره ذراعين أو ثلاثة، ويسمى حصن المرسى.

-**التعليق 02:** تعني الذين غيروا دينهم ووطنهم خدمة للاسبان.

- **التعليق 03:** كان أحد علماء القرن 16م وهو مشهور بنواحي القعدة.

-**التعليق 04:** هو محمد بن علي بن محمد الشريف الحسني النكداني (النكدالي)، كما ورد في المقامة السابعة في التحفة المرضية أنه نقش على خاتمه " الواثق بالله العلي محمد بكداش بن علي "، ووافق هذا ما أورده الجامعي في شرح الأرجوزة "... وقول الناظم محمد باكداش هو اسم السلطان الممدوح مركب من اسمين، وذلك أن والده أبو الحسن علي بن محمد المتقدم نسبه سماه بكداش وتفسيره بالعربي الحجر القاسي" (عبد الرحمان الجامعي، 2002: 53)

-**التعليق05**: يقصد به كذلك "برج مرجاجو" الكائن فوق جبل المائدة، بناه الأسبان بإيعاز من رجل من بني عامر المناصرين للإسبان(محمد بن ميمون الجزائري، 1987: 216)

[1]**لتعليق 06:** صهر ووزير الداي محمد بكداش بكداش، كما ذكر في أغلب المصادر العربية مثل: الجامعي والحلفاوي الذي قاد الحملة العثمانية المرسلة لدعم الباي مصطفى بوشلاغم، المحصار لوهران، ومات مقتولا مثل الداي محمد باكداش(محمد السعيد بو بكر، 2010-2011: 85).

-التعليق 07: هو مصطفى بن يوسف بوشلاغم المسراتي باي الغرب الجزائري (-1686 1733م) الذي حكم سبعا وأربعين سنة، وهو الذي خلف الباي شعبان الذي استشهد في حصار وهران سنة (1098 هـ1686م) (محمد السعيد بو بكر، 2010-2011: 85).

قائمة المصادروالمراجع:

1) ألتر عزيز سامح، 1989، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ط1، بيروت، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع والطباعة.

2) بلحميسي مولاي، 1970، تحرير مدينة وهران سنة 1708م، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، الجزائر، ع09.

3) بن أحمد أبو راس الناصري محمد، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1.

4) بن الطيب القادري محمد، 1996، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني عشر، بيروت، دار الغرب الاسلامي.

5) بن خالد الناصري أحمد، 1997، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،ج7، الدار البيضاء، دار الكتاب.

6) بن سحنون الراشدي أحمد بن محمد بن علي، 1973، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، الجزائر ، مطبعة البعث.

7) بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي أحمد، 2012، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، ط2، الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع.

8) بن ميمون الجزائري محمد، 1987، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المرضية، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

9) بن يوسف الزياني محمد، 1978، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

10) بو بكر محمد السعيد، 2010-2011، العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي (1119- 1206هـ/ 1708-1792م)، مذكرة شهادة الماجستير في تخصص التاريخ الحديث- المركز الجامعي بغرداية- الجزائر.

11) بوعزيز يحيى، 2009، مدينة وهران عبر التاريخ، ط1، الجزائر ، دار البصائر للنشر والتوزيع.

12) التازي عبد الهادي، 1988، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مج9، المحمدية، المغرب، مطبعة فضالة.

13) الجامعي عبد الرحمان، 2002، فتح مدينة وهران، الجزائر، مخبر المخطوطات.

14) حصام صورية، 2018-2019، العلاقات بين الجزائر والمغرب خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر- رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أحمد بن بلة وهران 1، الجزائر

15) خير فارس محمد، 1969، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، بيروت، لبنان، مكتبة دار الشروق.

16) دباب بومدين- 2016،2017م، بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس- الجزائر.

17) الشافعي درويش، 2010-2011، علاقات الايالات العثمانية في غرب المتوسط مع اسبانيا خلال القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي، مذكرة شهادة ماجستير- المركز الجامعي غرداية، الجزائر.

18) فكاير عبد القادر، 2012، الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910-1206هـ/ 1505- 1792م)، دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

19) المدني أحمد توفيق، 2007، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492- 1792م، ط1، الجزائر، دار البصائر للتوزيع والنشر .

20) المدني أحمد توفيق، 2010، محمد بن عثمان باشا داي الجزائر 1766، 1799م، 2010، عالم المعرفة للنشر والتوزيع.

21) المزاري الآغا بن عودة،1990، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا في أواخر القرن 19م، ج1- دار الغرب الإسلامي- بيروت- لبنان.

22) المشرفي عبد القادر الجزائري، د.س.ط، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، بيروت- لبنان، منشورات مكتبة الحياة.

23) Abadies Louis, 2002 , Oran et Mers El Kébir- Véstiges du passé Espagnols, Paris, serre ed-.

24) Galibert, 1976, Grand guillaume- nedroma l'evolution d'une medina- leyden, brill.

25) Jean Cazenave, 1930, Les gouverneurs D'Oran pendant l'occupation espagnole de cette ville(1509- 1792)- R.A - V 71.

26) Lespinasse(E) , 1877, notice sur le hachem de Mascara- in R. A- N°21.